دراسة سيميائية لمثل شعبي مولدّ "زيد في الشّطرنج بغل".

A semiotic study of a popular proverb generated "Zaid in chess is a mule".

الدكتور: فتح اللهبن عبد الله

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة محمد بوضياف.المسيلة.(الجزائر)
Email: fethallah.benabdallah@univ-msila.dz

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 تاريخ القبول: 2021/07/14 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى تجلّيةبناء الدلالات من خلال مثل شعبي واحد بوصفه خطاباسرديا، وإبراز دورالتحليل السيميائي في عملية توليد الدلالة في السياق أو مقتضى الحال، كما وتهدف إلى تطبيق ما توصلت إليه السيميولوجيا الحديثة في كشف المعاني وتوليدها.

وتظهر الدراسة المثلَ الشعبي كجنس أدبي يخفي وراءه نصا سرديا، ما يبرر إمكانيات دراسته في إطار سيمياء السرد في مستوياته الثلاثة السردي والخطابي والمنطقي.

الكلمات المفتاحية: السيميولوجيا. التحليل السيميائي. الخطاب السردي. مربع جريماس.

Abstract:

This study aims to clarify the construction of semantics through one popular proverb as a narrative discourse, and to highlight the role of semiotic analysis in the process of semantic generation in the context or the case. It also aims to apply the findings of modern semiology in revealing and generating meanings.

The study shows the popular proverb as a literary genre that hides a narrative text behind it, which justifies the possibilities of its study within the context of the semiotics of narration at its three levels: narrative, discursive, and logical.

Key words: semiology, semiotic analysis, narrative discourse, Greimas Square.

مقدمة:

لقد مكنت السيميائيات النص من الانعتاق من عديد القيود بفتح مجال التأويلات من خلال انفتاح النص على العوالم المتعددة للمعنى، ذلك أن منهج السيمائيات من أخصب مناهج التحليل التي تكشف عن مراحل تبلور المعنى، كما تعد مقارباته من أبرز المقاربات التي تحايث طبقات النص التي ينبني بعضها فوق بعض، دون المساس بتماسك نسيج النص، يبدأ في العمق ببنية دنيا هي عبارة عن علاقة متضادة قابلة للاستثمار والتوالد، ثم يصعد إلى مستوى أعلى يبين فيه ملامح العناصر القابلة للوصف والتحريك في إطار البنية الكلية، وهذا المستوى ذاته يؤول إلى مستوى أعلى منه هو التيمة أو الموضوعة.

بناء على ما تقدم تحاول هذه الورقة البحثية دراسةوتحليل مثلمن الأمثلة الشعبيةوفق الممنهج السيميائي، من خلال تكشيف البنى السطحية والعميقة، وتحديد مكوناتها في تمثيل معانينصالمثل،و مقاربة دورها في تشكيل الدلالة،مما سيجعل هذه الدراسة السيميائية في تفاعلمستمرمع نص المثل والعالم الذي تشتغل فيه دلالته، كون التفاعل بين المكونات ومستويات الدلالةوسياقاتها المنوطة بها، وهذا ما يجعل من هذه الدراسة تأسيسا للفضاء المنسجم الكامل الوظائف لنص المثل من منظور سيميائي،وكإجراء منهجي تبدأ المقاربة المنهجية لهذا الموضوع من المستوى السطحي وتنتهي إلى البنية الدلالية المنطقية نتاج التأويل.

إن تعدّي نص المثل الشعبي حدودَه المنطوقة، وحجمه المحدودالعناصر الفاقد للانسجام والاكتمال ظاهريا، إلى فضاء النص المنسجم ال صالح للتواصل بين أفراد المجتمع، والمحقق للوظائف التواصليةفي التخاطب الاجتماعي، تحول من جملة تقريرية أو انشائية، إلى قصة كاملة الأحداث، تحكي قصة المثل الأصلية لكنها تتحول وتندمج في قصة جديدة في عالم الممكن المتماهي مع قصة المثل الأصلية ورغم محدودية العناصر المشار إليها في إمكانية الملء والإكمال ضرورية.

وسعيا وراء تحليل سيمائي مقبول الدلالات لنص هذا المثل المولد مجال الدراسة نستندإلي مقاربة السيميائية السردية، حيث ننظر إلى المثل على أنه يعبر عن قصة من القصص، فيعامل

مضمونه على أنه سرد، لنقف في الأخير على دلالته من خلال ما توحي به الصّور والمعاني، واعتباراها ذات بعد فلسفي تفضي إلى تصوير الصّراع بين الإنسان والطّبيعة بكلّ ما يحمله ذلك الصراع من كرب وعناء من جهة وبينالانسانوبني جلدته من جهة أخرى.

فالمثل" زيد في الشّطرنج بغل"مثل شعبي مولَّد، قيل في القرن الثالث أو الرابع الهجري. وتتجلّى دلالته العملية التي يقترن فيها الدّال بالمدلول في أذهاننا[1]، إلى الصراع والبطولة بغرض الانتصار والبقاء حسب الاستحقاق،بالنظر إلى ما ترسمه مخيلة الأديب العامّي باستخدام اللّفظ[2]، والدلالة التي تنشأهنا مرتبطة بعملية ثلاثية هي[3]:

1. عملية السّماع أو القراءة لسلسلة أصوات معيّنة يحدّد لنا الدّال.
2. عملية يحيل فيها الدّال على متصوّر.le.concept قائم في مخزوننا الذّهني، وهو ما يدعى المدلول.
3. عملية يحيلنا فيها المدلول على ما هو صورته، أي على الشّيء الموجود فعلا في العالم الخارجي المحسوس المادّي أو الخيالي. وذلك ما يسمَّى بالمرجع .Le référent ـ

هذا على مستوى اللفظة، فدراسة انتظام الدّوال اللسانية في المثل الشعبي مرتبطا بالظاهرة اللغوية عموما، فإذا أخذنا المثل: .**زِيدَ فِي الشَّطْرَنْجِ بَغْلٌ**[4]. يمكن أن يتجلّى للسّامع في السّيمياء: **زي/ دف/ يا/ ل/ شط/ رن/ جب/ غل.**

وقد تُوحِي هذه الجروس بدلالات كثيرة حين سماعها، لكن بعد الانتهاء من القول تفتح المجال فقطللدلالاتالموجهة من خلال بنية المثل اللغوية التي تسعى السيميائية إلى إجراء التّحليل الذي يساعد على وصف أنظمة الدّلالة وتنظيمها من خلالها[5]. فهناك مسلّمات بديهية يقوم عليها تحليل الدّلالة أهمّها مبدأ الكلية[6]؛ ومعناه أنّ النصّ -المثل المولّد -يشكّل كلا دلاليا، فمضمون المثل هو الذي يدرك بواسطة السّمع بالدّرجة الأولى، أو القراءة بعد تدوينه.

والمبدأ الثاني هو التّضاد[7]؛ ونقصد به أنّ كلّ لفظة لها ما يخالفها مضموناً. وفي المثل نجد هذا الخلاف بين عناصر الدّلالة:.زيد # نقص، في# على، الشّطرنج # الجدّ، بغل # الحصان (كما في اللعبة).وهذا المبدأ كان معروف في اللغات جميعا، فعند العرب قيل تُعْرَف الأشياء بأضدادها، وكثير من المعاجم القديمة والحديثة عنَيت بهذا الجانب. بعبارة أخرى «عندما يتعلّق الأمر بوصف تنظيم المضمون ينبغي أن نضبط بدقّة كبيرة لعبة الاختلافات،ليتولّد عن هذا المساق مفهوم البنية. فهذه الاختلافات التي تشكل شكل المضمون تساعد على تحديد عناصر الدلالة»[8].

هناك مستويات عديدة في السيميائية تتنوع حسب المنظور الذي يقدّم به التحليل[9]، ولكن تكاد تجتمع في «المضمون الشّامل للنّص الذييمكن أن ينتظم ويوصف على أساس ثلاثة مستويات مختلفة»[10] متفاعلة معًا هي:

- المستوى السردي

- المستوى الخطابي
- المستوى السيميائي

تضمّ هذه المستويات الثلاثة مسارين؛ أحدهما نظري وهو المسار التّوليدي حيث تنتقل فيه الدلالة من المستوى التجريد إلى المستوى السّردي. والثاني المسار التحليلي حيث تنتقل فيه الدلالة من المستوى السردي إلى المستوى المنطقي السيميائي.

1. المستوى السّردي:

يقصد بالسّرد عرض الحديث بتتابع وجودة[11]، وهو في النقد الأدبي بسط للأحداث دون حوار، وهو أشكال حسب الجنس الأدبي الذي يضمّه، فهناك سرد روائي وسرد قصصي وسرد مسرحي، وتختلف زاوية النظر إليه من منهج نقدي إلى آخر؛ فهو عند البنيويين يأتي بمفهوم الخطاب Discoure .أي الحديث[12]. وهو في السيميائية أكثر تجريدًا بالنظر إلى المستوى الخطابي[13]، بحيث يهدف إلى تقديم شكل لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحولات في الخطاب.

ويكون التّحليل السّردي للمثلعلى شكل متتالية من الوضعيات والحالات التي تقوم بين هذه الأحداث، فنقوم بترتيب كلّ الألفاظ في المثل إلى فئتين أو صنفين؛ ملفوظات الحالة **الكينونة**، وملفوظات **الفعل**. والغرض من ذلك اكتشاف العلاقات التي تقوم بين الألفاظ، ولهذا نستعين بالنموذج التنظيمي[14] على تحليل المثل السّابق وفق الترتيب الذي يحتله تسلسل الألفاظ السردية:

1.1 أطوار الرسم السّردي:

ينظِّم الرّسم السّردي تسلسل الألفاظ تنظيما يقوم على أربعة أطوار مرتبطة فيما بينها ارتباطًا منطقيًا. وهذه الأطوار هي: التحريك، والكفاءة، والأداء، وأخيراً التقييم. وتقوم داخل هذه الأطوار علاقات بين الأدوار، كما سنراها في تحليل المثل من المستوى السّردي.

1.1.1. التّحريك:

نقوم في هذا المساق بإبراز **"فعل الفعل"** حيث يفعل العامل فعلا محدثا لفعل عامل آخر. ويناسب هذا في المثل الشخص الفاعل حسب القصة الجديدة لتحقيق برنامج معين، فاللاعب الذي لا يحسن قواعد لعبة الشطرنج لن يدرك قصة المثل. ويطلق اسم المرسل على الدور العاملي الخاص بالمثل: زيد في الشطرنج بغل، فالمثل فعل عامل آخر ليس هو نفسه، لكن يبنيدلالته من خلال التحفيز. ليشكل الصور أو الأشكال المدركة بواسطة التحريك من مكان إلى آخر بشكلمتنوعإلى أبعد حدٍّ ممكن.

2.1.1 الكفاءة:

يقوم هذا الطور بإبراز "كينونة الفعل"؛ إنّ قيادة النشاط مربوطة ببعض الشروط التي يجب أن تتوفر في الفاعل المنفّذ كأن يكون مدركًا جيدًا لقواعد اللعبة، فيجد نفسه هنا في علاقة مع القدرة على الفعل ومعرفة الفعل أي ممتلكا للوسائل التي تمكنه من القيام بالفعل، في القصة، الشبيهة بالقدرة على لعبة الشطرنج بمهارة.

3.1.1 الأداء:

وفيه يتجلّى فعل الكينونة متحولا إلى فعل الملكية؛ يفضي الحدث الذي يقوده الفاعل المنفذ المرسل في المثل إلى تحويل الحالة، من اللعب إلى وضعية جديدة يرتبط "فعل الفاعل" على هذا الأساس بكينونة الوضعية المتحولة. فيدخل الفاعل المنفّذ في علاقة مع تحويل يستند بدوره إلى علاقة بين فاعل حالة "اللعب" وموضوع "الاستهزاء"، والموضوع هنا يعدُّ موضوعَ قيمة لأنّ امتلاكه أو فقدانه يمثل رهاناً يتأسس عليه برنامج داخل المثل؛ أي تلك المسلسلات اللفظية السّردية التي تتحقق في قصة المثل الاصلية والمكتسبة في السياق الجديد وقدرة الذات على أداء دورها في القصة تشبه قدرة زيد على أداء دوره في الشطرنج.

4.1.1 التقييم:

يعدّ آخر طور في الرّسم السّردي وفيه تتجلّى "**كينونة الكينونة**"؛ حيث تتمّ فيه معالجة للبرنامج المحقق في سبيل تقويم ما تمّ تحويله. لنصل في النهاية إلى الفاعل الحقيقي. ويسمّىكذلك في السيميائية بالمرسل الإيبيستيمي، لأنّه يمثل القيم المتصارع عليها والتي تحكم الأفعال والأدوار معاً[15] والفاعل المحقق للهدف.

وهذا الطور تظهر فيه عمليات التقييم التي تأخذ في المثل مظهر الجزاء تأسيسا على جهل اللاعب بقوانين اللعبة. والتقييم في الأمثال السابقة كلّها تحمل الجزاء الإيجابي أو الجزاء السلبي تبعاً للتقييم المنطبق على القصص مضرب المثل.

2. المستوى الخطابي:

إنّ هذا المستوى الثانييتشكل على شكل مسارات صورية عند سماع أو قراءة المثل:**زِيدَ فِي الشَّطْرَنْجِ بَغْل**، وفيه يطرح مضمون النّص، كما أنّ صوره المشكلة لبنيته تجتمع الواحدة تلو الأخرى بحثا عن الانسجام الدال؛ كل لفظة لها صورة مادية أو ذهنية مخزنة في ذاكرة السّامع أو القارئ؛ فلفظ زيد له صورة، ولفظ الشّطرنج له صورة، ولفظ بغل له صورة، وأول عمل في التحليل هو التّعرف على هذه الصور وترتيبها في النّص. ولكي تتجلى بوضوح،نفترض أن يكون سماع (المخاطَب) أو قراءة (المخاطِب لنفسه) للمثل سليمين؛ وإلاّ ارتبكت الصور وصعب إدراكها في حالة

سـوء الـتلفظ أو القـراءة، وضـمن المسـتوى الخطـابي ينـدرج المسـتوى الفيزيولوجـي . niveauphysiologique .الـذي ينظّم مخارج الأصوات وسلامتها النطقية؛ كَزيدَ (الـزّاي، اليـاء، الـدّال، ...) لأنّ الصـوت يـرتبط بمفهـومي الملفـوظ والـتلفّظ؛ أي بمسـتوى الأسـاليب التعبيريـة، والمستوى البسيكوفيزيولوجي .niveau de la psychophysiologie .الـذي يهتم بالـذاكرة والإدراك[16] الذينيمزجان بين التجربة المتراكمة نتيجة اتصال الذات بالعالم، وبين التصوّر التخييلي الناجم عنها لهذا العالم. هذا يؤدي إلى توزيع سليم للصور في ترتيبها .لكنها تتحقق عبر المثل في السياق الجديد عبر تحويلها إلى مسارات صورية تجعل السّامع أو القارىء يستعرض قاموس الصور من ذاكرته، وإذا أخذنا صورة **"البغل"** يمكن أن نتساءل عن مسارها: بغل عمل، بغل صفة، بغل حيوان ركوب، وسيلة سفر... ألخ ، هذا المنطلق من التحليل هو الذي يرسم لنا ما بعده، فهو ذو عناية فائقة، لا تقلّ عن غيرها من المستويات.

إنّ شكل المسارات الصورية يحدد القيمة الموضوعاتية للصور بالفعل[17]. وهنا يجب أن نضع في الحسبان ما يفعله النص المثل المولّدبالصور في السياقات الجديدة، وعلينا بتحديد ذلك: كيف يصنفها ويرتبها؟، وعلى أي أساس تتوزع في ترتيبها إلى مسارات صورية[18]. وهذا العمل يؤدي بنا إلى الوظيفة التصنيفية والسياقية للصور. وينبغي أن نبحث في المثل عن القيم الموضوعاتية التي تمثلها هذه الصورة الموضوعة في حقل خاص؛ كقيمة حدّ، أو قيمة حكم، قيمة إدراك مستوى اللاعب الفاعل وغيرها، وعملية تحديد الصور هذه صعبة ومعقدة ومتشعّبة جدّاً، لكنها مفيدة في بناء العالم الدلالي المصغر لهذا المثل المولّد. وترتكز هذه العملية على الموروث الثقافي للباحث والمحلّل، إذ بفضلها يلج إلى تصورات كثيرة تقوم في تأسيس القيم.

ويتأسس العمل في هذا النص المثل على تناول أكبر عدد ممكن من تفاصيل الشيء /الصورة .وتحليله إلى أجزائه المكونة وفق مبدأيْن متناقضيْن هما: الاستقصاء والانتقاء، ولشرح هذه التفاصيل يمكن أن نعود إلى صورة **"بغل"** ونضعها على الشكل التّالي:

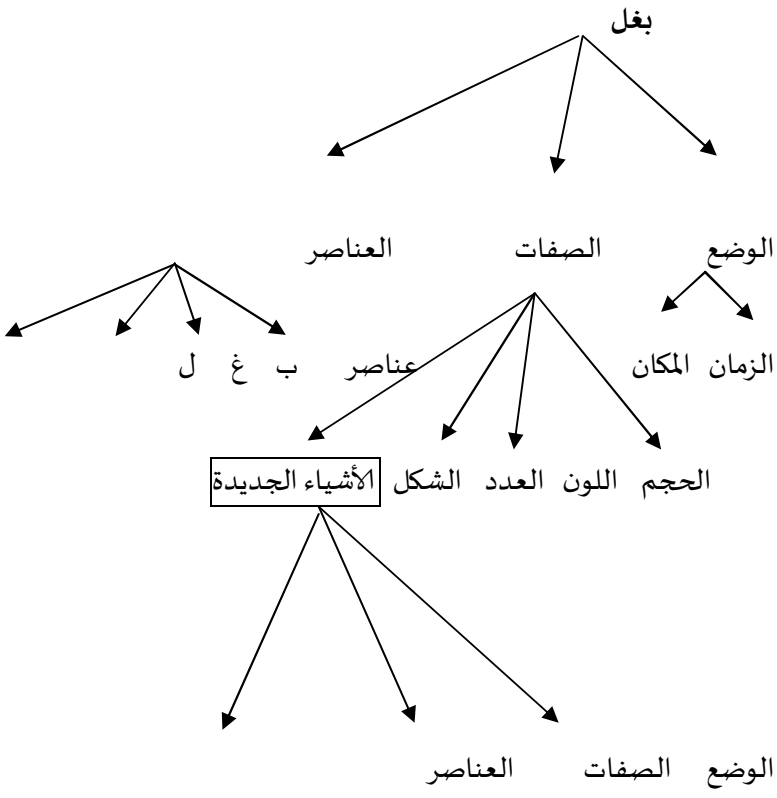

وبالإضافة إلى ذلك، يتناول التحليل الصور وفق المنهج ذاته لأنّ خط السماع أو القراءة ستركزعلى تحديد أشكال التّعبير في بقايا صور، وليس على أشكال المضمون، وتحديد أشكال التعبير في الصور سيُبْنى أساسا على ما يسميه علماء اللسانيات الرؤية القصصية[19]- vision narrative..

وبما أن الحدود الصارمة لم توضع بعد بين" الصوري/ الموضوعاتي" أي أن يكون النص المثل صورا موزعة في ترتيبها إلى مسارات/ قيم موضوعاتية[20]، فظاهرة الخفاء هي الصفة اللازمة في

نّصوص الامثال، وعليه يجب بناؤها مع المراعاة التامة لتجانس الصور في المثل المولّد طبقا للسياق الباني للنص الجديد. وعلى هذا الأساس يمكن أن نتبنّى مستويات الخطاب للمثل كالآتي: المثل[21]: زيد في الشطرنج بغل[22].

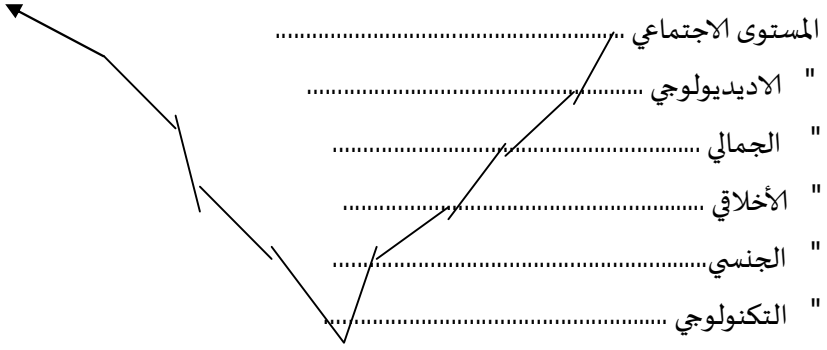

فالقارئ والسامع تنظم عمله عبقرية نظام اللغة العربية على جميع الأصعدة:

- كلّ الجروس لغوية، لا يوجد أيُّ جرس خارج عن جروس الحروف المعجمية.
- كلّ وحدة لها دلالتها المعجمية.
- التراكيب سلاسل صوتية تترتّب فيها الجروس ترتيبا لغويًا عربيًا.

ولتقريب الرّؤيا نقوم بشرح المخطط السّابق بإيجاز:

1.2المستوى الاجتماعي: هذه اللعبة .الشطرنج .ليست في متناول جميع الشعب، بل هي خاصة بطبقة من المجتمع. وبالتالي يعطينا المثل تصوُّراً اجتماعياً ما.

2.2 **المستوى الإيديولوجي:** يتألف الشطرنج من الملكة والوزير، فهو يحمل دلالة إيديولوجية أبسط ما تكون مجسدة في النّظام الملكي المطلق. هذا داخل اللعبة، أما خارجها فتجسيد لما هو بالداخل.

3.2 **المستوى الجمالي:** إن شكل اللعبة وما تحمل من مربعات وهندسة فريدة، وما عليها من أدوات في أشكال مختلفة تأخذ بالألباب... تكسونا جمالاً نحس به ونحن نمارس هذه اللعبة، أو نشاهدها.

4.2**المستوى الأخلاقي:** لا يمارس هذه اللعبة إلا من توفّرت فيه بعض الشروط الأولية، كاللباقة والهدوء وحسن التفكير... ذلك لأنها لعبة تعتمد على الذهن أولاً، ومن ثمة ليست كألعاب التي تعتمد على القوة العضلية. فهذا المستوى يخصّ السلوك عامة.

5.2 **المستوى الجنسي:** صورة**"البغل"** تدلنا على الجنس الذكريالمخفّل الأبله، كما نجد في اللعبة **"الملكة"** و**"الوزير"** و**"الجنود"** و**"الحصان"** و**"الأحمق"** وكلها تحمل جنسا معينا بأوسع ما تحمله الكلمة؛ الأنثى والذكر، وجنس الإنسان وجنس الحيوان وكذلك الجمادالمتمثل في **"القلعة"**.

6.2**المستوى التكنولوجي:**إن هذه اللعبة ليست كسائر اللعب من حيث المستوى التكنولوجي؛ فهي مصنوعة من خشب. في عصر المولّدين .وصنعها يتطلب مهارة فائقة وإتقان عالٍ من الجودة، فهي نموذج حضاري يُجَسِّد ما بلغت إليه الحضارة الفارسية من رقي وازدهار.

كما يمكن جدا أن نضيف مستويات أخرى حسب السّياق الذي يراه المحلِّل مناسبًا، فليست هذه المستويات هي الوحيدة في التحليل السيميائي للمثل. وإنّما اكتفينا بذلك حتّى لا يأخذ البحث منحًى آخر.

3. المستوى المنطقي الدّلالي:

يقوم هذا المستوى الثالث للدلالة كمستوى مجرّد إلى أبعد حدّ ممكن ومنطقي إلى أقصى بُعْد. وهو مستوى يهدف إلى إضفاء تمثيل منظم ومنطقي وعميق على شكل المضمون في منظور السيميائية. وفي أثناء التّحليل للمثل سمح لنا بتعيين الاختلافات وإعادة تشكيلها وتنظيم العلاقات بين القيم الأولية.

1.3تنظيم ذونموذج منطقي:

إن الأداة المستعملة في هذا المستوى هي المربع السيميائي الذي يقوم على علاقات التّضاد؛ وفي المثل السّابق الذي نحن بصدد دراسته "زيد" ضد "نقص"، والتناقض والتكامل. ينبغي للمربع أن يحكم نظام العلاقات وشبكة العمليات على خلاف التنظيم في المستوى الخطابي الذي ينظم هذه العلاقات في صور ممثلة ومتموضعة في فضاءات وأزمنة لتشكيل مسارات صورية من خلال

ذلك التموضع. وعلى خلاف المستوى السّردي الذي ينظم العلاقات في أدوار عاملة. وإذا كان هذا المستوى يذهب إلى أقصى بُعْدٍ للمثل من حيث المضمون، وليكن على سبيل التمثيل "الغباوة"، فإنّ المربع السيميائي يأتي على النحو الآتي:

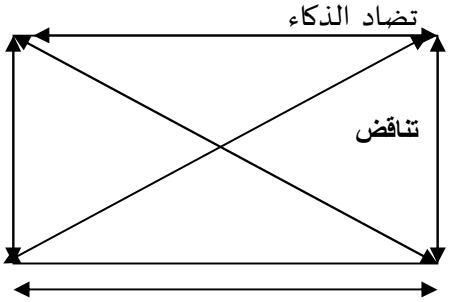

في هذا النوع من إقامة العلاقة بين الأقطاب المتعارضة فإنّ الحدّ الثاني ليس منفياً في الحقيقة أبداً، بل على العكس فإنّه حاضر بشكل كامن لكونه يجب أن يحلّ محل الحدّ الأوّل في نهاية المثل المولّد السابق[23]. رغم أنّ التفكير حول العلاقة المؤلِّفة للمعنى تواجه بصورة دائمة بشكل مستقل عن الظهور المعجمي في لغة مفترضة.

2.3 نحو التّلفّظ:

يظهر التلفظ في الغالب كنشاط لفاعل يتكلم كما هو الشأن في التلفظ بالمثل: "زيد في الشطرنج بغل" أو القارئ له، أو الدارس له، أو كاتِبه. وغالبا ما تتحول البحوث الدائرة حول التلفظ إلى تحقيقات في الفاعل: من الفاعل، أو الذات الفاعلة؛ أي صاحب المثل؟ وما سببه؛ أي قصته؟ وما هي الملابسات والظروف التي قيل فيها؟ وما هو القصد منه؟ ...الخ. وهنا تنشأ العلاقة بين المتلفظ énonciateur'. والتلفّظ؛ أي بين الفاعل الذات المنفِّذ وبين التلفظ، فهذه الصلة في التصور السيميائي موجودة بين الأداء والكفاءة، لأنّ الأداء يفترض الكفاءة التي تشكل موضوع البحث السّيميائي الخاصّ بالتلفظ énoncé'. ونعدّ هيئة التلفظ في هذا المثل وفق التحليل السيميائي أثراً للمتلفِظ لا العكس، وعلى هذا النّمط نبني التحليل كحيز لرؤية البنية من خلال ترتيب المنظورات في الطبيعة، دون اهتمام بمن بنى شكل هذه البنية.

قد يكون هذا التأويل الذي نقدّمه تأويلامقبولا وقد يكون حسب أمبرتو إيكو في كتابه التأويل بين "السيميائيات والتفكيكية"، تأويلامضاعفا للنصوص.[24] وهذا حسب الصّورة الفنّية عامّة والأدبية خاصّة التيترجع إلى القدرة على التّجريد والتّعميم في سيميائية المثل، فقد «اكتسب الفنّ قدرًا من التّميز مستفيدًا من ارتقاء التّجريب والتّكتيك عامّة، كما اكتسب الفكر قدرًا من التّقدّم ببروز طاقتيْ التّجريد والتّعميم»[25].

فحين يستخدم الأديب الفصيح أو الشعبي نص المثل للإيحاء بالواقع سردي يكون قد أدّى صورة أدبية تتمثّل في الاستعارة التي تكون إمّا إبداعية، وإمّا نقلية؛ إمّا واقعية، وإمّا بعيدة مهوَى الخيال[26]، فالصّورة الأدبية التي يتجلى فيها المثل تخلُقُ في النّص جمالا أقوى من الكلام العادي، فيُكْتَب للنّص البقاء، لأنّ الصّورة تغني الفكرة وتحرّك القارئ وتنقله إلى أجواء أرفعَ من أجواء الواقع[27].

ولا يجوزللّوحات الذّهنية المتصورة أن تتعدّى المعتدِلَ، وإلاّ خرجت عن مفهومها الجمالي، وابتعدت عن إدراك المضمون. أو بعبارة أخرى تلك الصورة الجوهرية المتمثّلة لمضمون الشّيء وحقيقته في العمل الفنّي كهذا المثل المولّد[28] وهي الجانب المُمثِّل لحقائق الأشياء، وذلك بعدِّها المحور الرّئيس الّتي تدور حوله شتّى الأساليب الفنية الحديثة بطرقها المبتكرة في الأداء، حيث في إعادة بناء الشّكل من جديد، وتعبِّر عن الحدس فيما يتعلّق بالحقيقة الخافية عن نظر الشّخص العادي، ذلك الشّيء الّذي هو موضوع العملالفنّي، حيث يستنبطه الفنّان بإحساس المتصوِّف في تلك الصّورة الجوهرية[29].

والتّعبير عن الصّورة الجوهرية الابتكارية في مضرب المثل إنّما يكون باتخاذ تلك الانحرافات في الكلمات وشذوذ انسجامها، حيث تخرج بالأشكال والعبارات عن مألوف صورتها التي تستعمل في اللغة، و يقوم عمل الاديب في ترسيمه على إدماج تلك الصّورة الظّاهرة في المثل في تلك الصّورة المعنوية للقصة الجديدة، تلك الّتي يستخلصها بحدسه، أو بعبارة أخرى مزج الشّكل الطبيعي بتلك الفكرة الحدسية الّتي ارتسمت في تصوّره عن حقيقة ذلك المثل، والّتي استطاع أن يدركها عن طريق تأملاته وغريزته الفنية، فذلك المبدأ المعنوي الخفي المعبِّر عن الشّكل الجوهري -في الأمثال بصورة أعمق، يمكننا من القول عن ذلك المبدأ إنَّه الأساس الذي يجعل من الأمثال كلّها مضمونا متماهيا، والذي في استطاعتنا أن نطلق عليه اصطلاح مطلق الدلالة. ذلك المطلق الّذي يصبح معنًى فكريا مجرّدا وأبديا.

خاتمة:

أسهم المسار السيميائي في إحداث مقاربات نوعية للخطابات الأدبية على اختلاف أنماطها،وأشكالها ومحتوياتها، وقدمت بذلك دراسات متخصصة في التحليل، بحسب طبيعة النص المدروس، وقد حاولنا في هذه الورقة البحثية، دراسة وتحليل مثل شعبي مولَّد "زيد في الشّطرنج بغل"دراسة سيميائية، من خلال البنى السطحية والعميقة، وتحديد مكوناتها في تمثيل معاني نص المثل لنخلص الى جملة من النتائج:

- يعتبر المثل مكونا اساسيا في الثقافة والفكر الإنساني، والذوق الفني.
- معالجة المثل لقضايا إنسانية واقعية متصلة بالظروف الاجتماعية حيث خلفت بصمات على فئة من المجتمع
- يظهر من خلال الدراسة والتحليل، مدى أهمية المقاربة السيميائية في فك لغز الخطاب وغموضه؛ كيفما كانت نوعيته، كثافة نص المثل يولد متاهة، وعلى المتلقي البحث في أغوار النص الذي يشكله المثل عند اطلاقه من أجل الوصول إلى المعنى أو الدلالة، وهذا من خلال المقاربة السيميائية باعتبارها تقنية عملية أسهمت بشكل كبير في فك شفرات الخطاب والوصول إلى المعنى؛ سواء من ناحية الدلالة، وخاصة بعد تحليله من البنية السطحية إلى البنية العميقة لإظهار المخفي وجعله متجليا.
- المثل الشعبي مولَّد "زيد في الشّطرنج بغل"ذا حمولة رمزية تحدث عن الذكاء والفطنة والقدرة في أداء الواجب.
- تبين أن المثل يمكن أن تنقسم دلالاته إلى ثلاث مستويات شبيهة بتلك نجدها في التحليل السيميائي السردي مستوى سردي يتناول الفعل وملفوظاته ومستوى خطابي يعالج الصورة ومساراتها ومستوى عميق ومنطقي يحول القصة مضرب المثل إلى مربع منطقي.
- كما تبين أن نص المثل يعبر عن العلاقات الدلالية الخفية والمطلقة لمضرب المثل والتي تكون على شكل استعارات للمثل من منبته الأصلي ووضعه في مواضع جديدة تتماهى مع قصة المثل الأولى.

الهوامش

[1] - عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط 2، 1982، ص153.

[2]-Le plaisir du texte, pp 54-55.

[3] - نفسه، ص: 55.

[4] - الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس [ت383هـ]، الأمثال، تحقيق وتقديم محمد حسين الأعرجي، موفمللنشر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1994، تحت رقم 560، والمجمع، ج 1، ص327، بلفظ "**زَادَ فِي الشَّطْرَنْجِ بَغْلَة**".

[5] - جان كلود جيرو ولوي بانييه، السيميائية نظرية لتحليل الخطاب، ترجمة د. رشيد بن مالك: السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص105 وما بعدها.

[6] - نفسه، ص107. ويطلق عليه المترجم مصطلح "المحايثة".

[7] - نفسه، ويطلق عليه المترجم مصطلح "المسلّمة البنيوية".

[8] - المرجع السابق، 108.

[9]-GREIMAS (A .J), COURTES. J,Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette Université, 1980, p252-253.

[10] - السيميائية أصولها وقواعدها، ص108.

[11] - محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م، ص523.

[12] - نفسه.

[13] - السيميائية أصولها وقواعدها، ص113.

[14] - المرجع السابق، ص114.

[15] - المرجع السابق، ص115.

[16]- Sémiotique, p254.

[17] - السيميائية، ص112.

[18] - المرجع السابق.

[19] - توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي، الدار العربية للكتاب، تونس،1984، ص85.

[20] - السيميائية، ص113.

[21] - تجد شبيها لهذا الرسم عند "كورتس" في: Introduction à la sémiotique narrative et discursive، p100.

[22] - الأمثال، تحت رقم 560، والمجمع، ج1، ص 327.

[23] - آن إينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ترجمة أوديتبتيتو، خليل أحمد، تقديمأ.ج. غريماس ود. أسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980، ص96.

[24] -أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكَراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الرباط، ط1، 2000، ص ص8251.

[25] - عبد المنعمتليمة، مقدمة في نظرية الأدب، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979، ص35.

[26] -عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم، ط 2، مكتبة وهبة، القاهرة، ج 1، 1993، ص ص145-154.

[27]- نفسه، ص236.

[28]-Le plaisir du texte, p 55;« C'est la définition même de l'imaginaire: l'inconscience de l'inconscient».

[29]- استعمل اصطلاح الصورة أفلاطون على ما تمثله صورة الظواهر في حين يعني بها أرسطو تلك الصورة الجوهرية، ويطلق بعض النقاد على الشكل اصطلاح الصورة، ولكن بالنظر إلى أنّ ذلك يؤدي إلى تضارب في المعنى، من أجل ذلك أخذنا كلمة الشّكل التي تدلّ على الشّكل الجوهري لدى أرسطو. يُنظر:
COHEN (JEAN) , Théorie de la figure, in, sémantique de la poésie, ouvrage collectif, éd du Seuil, 1979, p8.

المراجع

أولاً: باللغة العربية:

1. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر [ت 471هـ]،دلائل الإعجاز، وقف على تصحيحه وطبعه وعلق حواشيه نشره السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ط 2، 1331هـ.
2. الخوارزمي ، أبو بكر محمد بن العباس [ت383هـ]،الأمثال، تحقيق وتقديم محمد حسين الأعرجي، موفم للنشر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1994.

القزويني، جمال الدين أبو المعالي الخطيب [ت 739 هـ]:

3. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،1932 م.
4. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط5، منشورات دار الكتاب اللبناني، 1980، جزآن في مجلد.
5. آن إينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ترجمة د.أوديتبتيتود.خليل أحمد، تقديمأ.ج. غريماس ود. أسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، 1980.
6. أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنگراد، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الرباط، ط1، 2000.
7. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1954.
8. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي، الدار العربية للكتاب، تونس،1984.
9. جان كلود جيرو ولوي بانييه، السيميائية نظرية لتحليل الخطاب، ترجمة د.رشيد بن مالك، السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002.
10. عبد السلام المسدّي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط 2، 1982.
11. عبد العظيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم، ط 2، مكتبة وهبة، القاهرة، ج 1، 1993.

12. عبد المنعم تليمة، مقدمة في نظرية الأدب، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979.
13. فاردیناند دي سوسير، دروس في الألسنة العامة، تعريب صالح القرمادي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1985.
14. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م.

ثانياً: باللغة الأجنبية:

BARTHES (ROLAND) :

1. Le degré zéro de l'écriture, suivi de Eléments de sémiologie, éd Gonthier, 1953.
2. Le plaisir du texte, éd du Seuil, Paris 1977.
   COHEN (JEAN) :
3. Théorie de la figure, in, sémantique de la poésie, ouvrage collectif, éd du Seuil, 1979.
   GREIMAS (A .J), COURTES. J:
4. Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du langage,Hachette Université, 1980.

JAKBSON(ROMAN):

5.Essais de linguistiques générale, Minuit, Paris, 1963.